

إنَّ الحمد لله نحمده و نستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَموتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران: 102.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا

كثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ سورة النساء: 1

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ

يَطعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ الأحزاب: 70-71.

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله عز وجل، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وعلى

آله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في

النار..أيها الإخوة الشباب -شباب حركة الفلاح- يسرني في هذا اليوم الثالث من محرم 1431هـ

أن ألتقي بكم في درس عنوانه / الإمامة ومكانتها في الإسلام.

وسوف أتحدث عن العناصر التالية :

1- بيان معنى الإمامة.

2- أقسام الإمامة.

3- ما يدل على عظم شأن الإمامة.

4- خطوة نحو التصحيح.

معنى الإمام في اللغة: من أمَّ يؤم إذا تقدم وصار دليلاً يقتدي به من وراءه، ولذا سمي الكتاب

إماماً، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ هود: 17، الأحقاف: 12

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ الإسراء 71

وقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ يس 12

وفي الاصطلاح: الإمام من يأتي به الناس من رئيس، ومتبوع، ومنه إمام الصلاة، والخليفة، وقائد الجند. (1) ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: "إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ." (2)

لفظ الإمامة بمجرد لا يتضمن مدحا ولا ذما لذاته، لذلك يقول العلماء: إمام هدى، وإمام ضلالة، وعلى ضوء هذا يمكن تقسيم الإمامة إلى أقسام.

أقسام الإمامة:

- 1- الإمامة العظمى: وهي تولى أمور الأمة لتدبيرها على نحو يضمن لهم صلاح الدين والدنيا.
- 2- الإمامة في الصلاة، وسيأتي ما بينها من ارتباط في الإسلام.
- 3- الإمامة في الدين: وهي منصب علمي رباني يوجب لمن تبوأه التفرغ لخدمة الإسلام والمسلمين، بنشر العلم الصحيح، والدعوة إلى العقيدة الصحيحة والتربية عليها، والصبر على ما يناله في سبيل ذلك من الأذى، وليس من شرط هذا النوع تولى الإمامة العظمى، أو الإمامة في الصلاة، وهذا النوع هو المذكور غالبا في القرآن الكريم. وشروطها ثلاثة:

أ. الاعتصام بسبل الهداية الربانية، وشدة التمسك بالسنة.

ب. الصبر بأنواعه.

ت. اليقين الراسخ الذي لا تزغزه أعاصير الفتن. وهذه الشروط الثلاثة المذكورة في

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ السجدة 24

(1) (المعجم الوسيط مادة "أم م")

(2) (رواه الشيخان وغيرهما)

4- الإمامة في الكفر والضلال، قال تعالى: ﴿وَإِنْ نَكْثُوا أَيَّامَهُمْ مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي

دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿ التوبة 12

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿ القصص 41

ويدل على عظم مكانة الإمام أمور:

الأمر الأول: أن الله جعل صفوة خلقه وهم أنبيأؤه أئمة للناس، فقال لإبراهيم عليه الصلاة

والسلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿ البقرة 124

وهذه قاعدة شرعية مطردة أن الوراثة في الدين ليست وراثة نسبية، ولكنها وراثة ربانية فيمن

حقق شروط الإمامة في الدين، أما من لم يهتد ولم يقتد بسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام،

فليس له في الوراثة الدينية نصيب، وإن تولى الإمامة في الصلاة أو تولى الإمامة العظمى.

الأمر الثاني: أن من صفات عباد الرحمن التي أثنى تبارك وتعالى عليها دعاؤهم أن يجعلهم

للمتقين إماما: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ

إِمَامًا ﴿ الفرقان 74

الأمر الثالث: أن من نعم الله العظيمة على عباده المؤمنين المستضعفين أنه يكافئهم برفع مكانتهم

إلى قمم الإمامة في الدين، قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ

وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿ القصص 5

الأمر الرابع: أن مكانة الإمام في المجتمع لا شك أنها مكانة عظيمة، كيف لا وهو يقوم

بإمامتهم في الصلاة التي هي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، فالإمام هو القائد

والمأمومون تابعون له والإمام يقوم بالتوجيه والإرشاد لجماعته بما يلقي من دروس ومواظم،

فلقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخلفاؤه الراشدون يجعلون من المسجد مؤتمراً

يجمعون فيه المسلمين ليحصل التشاور بينهم في أمور دينهم وشئون دنياهم فيعلمون الناس

التوحيد والفقہ ومكارم الأخلاق، مع أمرهم بالمعروف ونهيمهم عن المنكر، والإمام يتفقد الغائبين، ويزور المرضى، ويسعى في حاجات من يصلي معه من المسلمين ويُعلم جاهلهم، وينبه غافلهم، وينصح مسيئهم، ويُصلح ذات بينهم، ويقرب بعضهم من بعض ويسعى في أسباب المودة والمحبة بينهم، ويحاول إصلاح الخلل الاجتماعي فيهم من الشقاق العائلي، ومنازعات الجيران ونحو ذلك، وفي الجملة أنه في ظل غياب التحاكم إلى الشريعة يمكن أن يكون له أثر عظيم في مجال عقد جلسات المصالحة، والحكم بين الناس في نزاعاتهم، عليه أن يقدّر هذه المكانة حق قدرها، وعلى الجماعة أن يعينوه على تحقيق المصالح الشرعية ودفع المفسد والأضرار.

الأمر الخامس: ومما يدل على أهمية مكانة إمام الصلاة خاصة، أن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسائر خلفائه الراشدين، ومن سلك سبيلهم من ولاة الأمور في الدولة الأموية والعباسية أن الأمير يكون إماماً في الصلاة والجهاد، فلقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا بعث أميراً على حرب كان هو الذي يتولى إمامة الصلاة، وكذلك إذا استعمل رجلاً نائباً على مدينة، كما استعمل عتاب بن أسيد رضي الله عنه على مكة وعثمان بن أبي العاص رضي الله عنه على الطائف وعلياً ومعاذاً وأبا موسى رضي الله عنهم على اليمن وعمرو بن حزم رضي الله عنه على نجران، وكان نائبه صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي يصلي بهم ويقوم فيهم الحدود وكذلك خلفاؤه بعده ومن بعدهم.

وكان هذا الارتباط ممكناً وقائماً عندما كان حكام المسلمين من كبار علمائهم، فمن نظر في تاريخ الخلفاء، أدرك أنهم كانوا هم علماء الأمة في الوقت الذي كانوا أمراء المؤمنين، ومن أكبر الأدلة على ذلك الأسئلة العلمية التي كانت ترد إليهم من جميع الأقاليم، فمن تأمل السؤال الذي ورد

إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله في مسألة القدر وتأمل جوابه، علم صدق ما قررناه.

وإنما انفك هذا الارتباط بين الإمامة العظمى وإمامة الصلاة عندما تولى أمور المسلمين أناس من جهال الآفاق، ليس لهم من علوم الشرع ما يستقيم به دينهم، فكان لا بد من تخصيص منصب الإمامة لعلماء المسلمين، وجعل أولئك مختصين بسياسة الدول مع استشارة أهل العلم في قضايا الأمة، وذلك في أحسن أحوالهم.. ثم لم يزل الأمر على ذلك فبقت مساجد المسلمين بأيدي علمائهم إلى أن دب الوهن وانتشر الجهل حتى نال هذا المنصب العظيم فوجد من المسلمين المتولين لشئون مساجدهم من لا يحسن قراءة الفاتحة، ولا يعرف معنى للسكينة والطمأنينة في الصلاة، ودب هذا الداء وانتشر واستفحل حتى نتج عن ذلك سلبيات عديدة، منها:

1. إهمال الواجب التربوي والتعليمي للمسجد؛ لأن التربية والتعليم في حاجة إلى علماء ربانيين قادرين على التأثير.
2. اللجوء إلى استيراد خطبة موحدة يتلوها الإمام مدة حياته ثم يورثها لمن يأتي بعده من الأئمة، وفي كثير من المساجد التي فيها هذا النوع من التوارث لو سألت أئمتها عمّن نسج منوال تلك الخطب لرد عليك بالسلب.
3. اللجوء إلى الاكتفاء بالتلاوة العربية "الركيكة" أمام حشد من المصلين لا علم لهم بلغة العرب؛ ذلك لأن ترجمة الخطبة إنما تتأتى ممن يعرف اللغة العربية وكثير منهم لا علم له بها.
4. التنافس على إمامة المساجد لحد التخاصم والتنافر والتدابير.
5. سقوط مكانة الإمام في أعين كثير من الناس حتى تجرأ عليهم السفهاء والحمقى والمغفلون، فتناولهم الجهال، وحيكت بشأنهم القصص الروائية والمسرحيات الفكاهية.

6. احتلال مكانتهم الدينية من طرف أناس أقنعوا البسطاء بخطاب ديني غامض، لا علم فيها ولا هدى ولا صراطا مستقيما، والحقيقة أن أمتنا خسرت الكثير بتقاعس كثير من أبنائها عن طلب العلم الشرعي من مصادرها، وعن تقدير مكانة الإمامة بترشيح من يصلح لها، فأنشئت زعامات دينية أساسها النسب والقبيلة، وليس العلم الشرعي، وتمكنت من السيطرة على مقاليد التقدير والاحترام لدى الخاص والعام، حتى إنك لتسمع من يتناول الإمام بالكلام الذي لا يليق في وقت لا يجروء على مثله أو قريب منه في حق واحد من هؤلاء.

خطوة نحو التصحيح.

السؤال المطروح: ما هو الواجب عمله الآن لاستعادة الهيبة إلى هذه المكانة الدينية الرفيعة؟ على أئمة المساجد إذا أرادوا أن تعود لهم مكانتهم الطبيعية التي بوأهم إياها دينهم الحنيف أن يُفعلوا نشاطهم في مجالين:

المجال الأول: ترتيب البيت الداخلي وتنظيم الصفوف، وذلك بعمل الآتي:

- 1) أن يؤسس في كل حي من أحياء المدن الكبيرة مجلس لأئمة المساجد.
- 2) أن ينضم الأئمة في القرى المجاورة إلى مجلس أقرب مدينة إليهم.
- 3) أن يشكل مجلس الأحياء مجلسا إقليميا على عدد أقاليم البلاد، وأن يُختار لكل إقليم رئيس مجلس إقليمي.
- 4) أن يُختار رئيس عام للمجالس الوطنية للأئمة، تجتمع عليه كلمة الأئمة على مستوى البلاد.
- 5) يكون من مهام المجلس الوطني للأئمة إحصاء دقيق لجميع المساجد في البلاد كبيرها وصغيرها، وإحصاء دقيق في قاعدة بيانات شاملة لجميع الأئمة في البلاد.

(6) أن يكون هناك برنامج علمي عملي مشترك على المستوى الوطني نتحدث عنه في /

المجال الثاني: التعليم والتدريب المستمر، وذلك من خلال:

(1) فتح معاهد لتكوين الأئمة والدعاة، في كل إقليم معهد.

(2) عقد دورات علمية تكوينية متخصصة لأئمة المساجد والجوامع.

(3) عقد مؤتمرات وطنية لمدارسة أحوال الأمة والمشكلات التي تعترض الأئمة في دعوتهم

وفي شئون مساجدهم.

(4) إصدار مدونة قانونية لسبل اختيار الأئمة والشروط التي يجب أن تتوفر فيمن يولى هذا

المنصب العظيم.

(5) صياغة برنامج تعليمي مشترك لحقات المساجد.

(6) إصدار مجلة تتضمن أخبار المساجد وأئمتها، كما تتناول موضوعات علمية تهدف إلى

إثراء ثقافة الإمام.

(7) أخيراً: أوصي بأن تكون حركة الفلاح صاحبة المبادرة في اتخاذ الخطوات اللازمة

لتأسيس "المجلس الوطني للأئمة في السنغال"

وليس هذا تقليلاً من شأن تنظييات الأئمة القائمة الآن، ولكنه دعوة إلى التجديد على نحو

يكون الجانب العملي فيه أكثر وأبرز.

والله المستعان .. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(فاس كلبان : 3 / 1 / 1431 هـ = 20 / 12 / 2009 م)

مع شباب حركة الفلاح